ترياق الأحزان وراحة الأبدان

الصبر

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :



دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي النِّعمـة، وكاشف النِّقمـة، تنزه في عليائه، وتفرد في كبريائه، والصلاة والسلام على السيد الأوحد، والنبي الأمجـد، وعلى آله وصـــحبه المختـــارين، شـــموس الهـــدى وســـناء المحتـــارين، ومن تـــابعهم بإحسان من التابعين. وبعد:

أخي المسلم: أخذ الله تعالى بقلوبنا إلى هداه، وجنَّبنا سـبل المهالك والـرَّدَى، وكـان العون في الدنيا والراحم في الآخرة.

أخي: كم هــذا الإنســان غافــل.. لاه.. لا يـــدري ما يصـــلحه إن لم يســـدِّده الملك الوهـــاب.. ﴿**إِنَّا عَرَضْـــنَا الْأَمَانَـــةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَـأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْـــفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَـــانُ إِنَّهُ كَـــانَ ظَلُومًا جَهُـــولًا**﴾ [الأحزاب].

أخي في اللـــــه: إنك محصـــــور من كل نواحيك بأعـداء يبغونك كل سـوء؛ من نفس وشيطان وهوى الكلُّ أعداؤك!

فسـبحانك إلهي أين المهـرب إلا إليـك؟. وأين المعاذ إلا بك؟ فأنت عصمة الخائفين..

ومعاذ المخبتين..

أخي: النفس عدو لـدود.. وحبل للشـرور ممـدود.. ﴿قَـدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَـدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس]

أخي: هي النفس تحب الشـــــــهوات.. وتهـوى الأمـاني.. وتبغض عــزائم الأمــور، ولُجج الحــق.. فــأنت معها أخي في جهــاد طويــل، نــزاع لا ينقضــي؛ حــتى يردها إلى الحق فتحمد مغبتــك.. أو تــردك عن الحق فتخسر الدنيا والآخرة!

أتـدري أخي من هو عـدو النفس اللجـوج والهوى المضل؟

إنه الـدين والعقـل.. وقف معي أخي عند كلام الإمام ابن القيم إذ يقـول: «إن الصـبر مصارعة باعث العقل والدين لباعث الهـوى والنفس».

إذًا أخي هو (الصـــبر) تلكم البضـــاعة الغاليـــة.. والســـلعة النفيســـة.. فقد أبت نفـوس الكـرام إلا اقتناءهـا.. فيا تُـرى أخي أهي في حـــرزك، وملكـــك؛ أم أنك معـــدم منها؟!

فإن كنت كذلك أخي فلا تـترددنَّ في بذل النفيس لامتلاكها.

الصبرُ يُحْمَدُ في ... إلا عليك فإنَّه لا

أخي المسلم: الدنيا مزرعة الآخرة ، ولن تُــؤتى مزرعة أكلها إلا إذا حــرثت ونظفت وحرست من الآفـــات والجـــوائح. وإن من آفات هذه المزرعة؛ نزغــات النفس الأمَّارة بالسوء فانظر أخي إلى هذه الآفة فلن تجد لها دواء أنجع من الصـــبر.. ﴿وَاسْــتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِــــــعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْـــهِ رَاجِعُــــونَ﴾ [البقرة: 45، 46].

قـال ابن تيمية رحمه اللـه: «قد ذكر الله الصـــبر في كتابه في أكـــثر من تســـعين موضــعًا، وقرنه بالصــلاة في قوله تعــالى: ﴿وَاسْــتَعِينُوا بِالصَّــبْرِ وَالصَّــلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

أخي: لقد جلَّى لك العارفون تلك اللؤلؤة النفيسة (الصبر) فقالوا: «هو حبس النفس عن التسخُّط، وحبس اللسان عن الشــكوى وحبس الجوارح عن التشويش».

وقال عمـرو بن عثمـان: «هو الثبـات مع الله، وتلقى بلائه بالرحب والدعة».

وقال بعضـهم: «تجـرُّع المـرارة من غـير

تُعبُّس».

وقال بعضهم: «هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله».

الخلِقُ للخَالق للمُنعم والتسليمُ
وخالصُ البِرِّ والورعُ الصادقُ

أخي في اللـــه: هو (الصــــبر) ودرجاته العاليـــــات! لا ينالها إلا المخلصـــــون.. الصـــــادقون.. فلا بد لك أخي من معرفة درجاته وأقسامه.

فقد قيـل: «الصـبر باعتبـار متعلقـه ثلاثة أقسام: صـبر على الأوامر والطاعـات حـتى يؤديها ، وصــبر عن المنــاهي والمخالفــات حـــتى لا يقع فيها ، وصـــبر على الأقـــدار والأقضـية حـتى لا يتسـخطها» [الإمـام ابن القيم]. أخي: ومما يهمك وأنت تتضـــــوع نفحـات الصـبر، أن تعلم أن الصـبر ينقسم إلى قسمين:

(1) إختيـاري (2) واضـطراري. فالصـبر الاختيــــاري –أخي- أفضل من الصـــــبر الاضطراري. فالصبر الاختياري هو: المتعلق بــالتكليف وهو الأمر والنهي والاضــطراري: هو الصبر على القدر.. والصبر الاضـطراري يــأتي به الــبر والفــاجر. فأما الصــبر على

الأوامر والنــواهي والصــبر عن المعصــية والصبر على الطاعة، فهو صبر أتباع الرسل عليهم الصـــلاة والســـلام وأعظمهم اتباعًا أصبرهم في ذلك. والصـبر الاضـطراري مع عظم جزائه فهو أقل رتبة من الصـــبر عن المعصية» [الإمام ابن القيم/ بتصرف].

ثم أخي أعـانني الله وإيـاك على الصـبر والمصـــــابرة، ومما أتحفك به في هــــذه الومضات؛ لابد أن تعلم أخي إن الصبر أيضًا ينقسم إلى قسمين آخرين وهما:

(1) صـبر الكـرام. (2) وصـبر اللئـام. فـالكريم أخي يصـبر اختيـارًا لعلمه بحسن عاقبة الصـــبر وأنه يحمد عليه ويـــذم على الجزع.

وأما اللـئيم فيصـبر اضـطرارًا.. فـالكريم يصبر في طاعة الرحمن ، واللئيم يصبر في طاعة الشـــيطان». [الإمـــام ابن القيم/ بتصرف].

أخي المســـــلم: إذا أردت أن تقف عند معالم الصـبر، فتأمله وأنت قـريب المـنزل، مطلاً على الأطلال.. فلن تـدرك أخي ذلـك؛ إلا إذا وقفت على هـذه الـديار من نفـائس الصـالحين.. وإشـراقات العـارفين.. وفـوق

هذه النفـاءس الوضـاحة، يقف لنا شـامخًا.. لامعًا.. مضيئًا، قول الرسول ﷺ.. تستأنس به أنفس المحبين.. وتسـتروح بشـذاه مـواكب الصـــــابرين.. فما أحلاها من نفحـــــات للصــــــالحين.. وما أبهى ســــــناها عند المخلصين.. فروِّح أخي نفسك من شذاها.. تحيا نفسك الـتي بين جنبيـك، ويفيق القلب الساهي!

عن صـهيب ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المـؤمن إن أمـره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمـؤمن، إن أصابته سـراء شـكر فكـان خـيرًا لـه، وإن أصـابته ضـراء صـبر فكـان خـيرًا له**». [رواه مسلم].

وعن أبي موسى الأشـعري ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: «إذا مـات ولد العبد قـال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولـون: نعم. فيقـول: قبضـتم قمـرة فـؤاده؟ فيقولـون: نعم. فيقـول: مـاذا قـال عبـدي؟ فيقولـون: حمدك واسترجع. فيقول اللـه: ابنـوا لعبـدي بيتًا في الجنة وســموه بيت الحمد». [رواه الترمذي/ صحيح الترمذي: 814].

وقـــال رســـول الله ﷺ: «**يقـــول الله**

تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صــفيه من أهل الــدنيا ثم احتســـبه إلا الجنة». [رواه البخـــاري].

وقال النبي لنسوة من الأنصــار رضي الله عنهن: «لا يمــوت لإحــداكن ثلاثة من الولد فتحتســبه إلا دخلت الجنة». فقـالت امــرأة منهن: أو اثــنين يا رســول اللــه؟ قــال: (أو اثنين) [رواه البخاري ومسلم].

أخي في اللـــــه: بعد تلك المصـــــابيح المضـــيئة.. والمعـــارج الســـنية من كلام النبوة.. أهديك هذه الشمعات النيرات.. من كلام الربـــانيين الـــذين اســـتقوا من عين النبوة.. ونهلوا من مناهل العرفان.

قـــال التقى النقي عمر بن الخطـــاب : «وجدنا خير عيشنا بالصبر». وقـال أيضًــا : «أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا».

واســمع كلام الصــاحب الصــادق علي بن أبي طــالب إذ يقــول: «ألا إن الصــبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قُطعَ الرأس بار الجسم ثم رفع صــوته فقــال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له».

وقــال عبد الله بن مســعود : «الإيمــان

نصفان: نصف صبر ونصف شكر».

وقال عمران بن حصـين : «ثلاث يُـدرك بهن العبد رغائب الدنيا والآخرة: الصـبر عند البلاء والرضا بالقضاء والدعاء في الرخاء».

ثم تأمل معي أخي كلام المقتـدين بآثـار الصحابة .. نور خرج من نور!

قـال الحسن البصـري: «الصـبر كـنز من كنـــوز الخـــير لا يعطيه الله إلا لعبد كـــريم عنده».

وقال قتادة: «خلق الله سـبحانه الملائكة عقولاً بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقـــــول، وخلق الإنســـــان وجعل له عقلاً وشـــهوة، فمن غلب عقله شـــهوته فهو مع الملائكة ،ومن غلبت شـــــــهوته عقله فهو كالبهائم».

وقال إبراهيم الـتيمي: «ما من عبد وهب الله له صـبرًا على الأذى وصـبرًا على البلاء وصـــبرًا على المصـــائب، إلا أوتى أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله».

وقـال ميمـون: «ما نـال أحد شـيئًا في جسيم الخير نبيٌ فمن دونه إلا بالصبر».

وقـال سـليمان بن القاسـم: «كـل عمـل

يُعَرفُ ثوابه إلا الصبر قـال اللـه عـز وجـل: **﴿إِنَّمَا يُـوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَيْـرِ حِسَابٍ﴾** قال: كالماء المنهمر».

إذا لم تُسامح في عليك فسامحْ
فلَم أرٍَ أوفى للبلاء ولِم أرَ للمكروه

أخي المســـلم: هل لك أن تــدقق معي الفكر في قوله تعـــــالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا اصْـبِرُوا وَصَـابِرُوا وَرَابِطُـوا وَاتَّقُــــوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُــــونَ﴾** [آل عمران].

أخي: أمــرك الله تعــالى في هــذه الآية بأربعة أمــــور تجمع لك الفلاح والخــــير العظيم.. وهي: * الصـــبر * والمصــابرة. * والمرابطة * والتقوى.

فالمصــابرة أخي: انتقـال من الأدنى إلى الأعلى، فالصبر دون المصابرة.

فالصبر: مع نفسك. والمصابرة: بينك وبين عدوك.

أمر تعالى بالصبر وهو: حـال الصـابر في نفسه.

وأمر بالمصـــــابرة وهي: مقاومة الخصم في ميــدان الصــبر، وهي تكــون بين اثــنين كالمشاتمة والمضاربة.

وأما المرابطـة: فهي: الثبـات واللـزوم والإقامة على الصبر والمصابرة.

أخي: فقد يصـبر العبد ولا يصـابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصـابر ويرابط من غـير تعبد بـالتقوى، فـأخبر سـبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى ، وإن الفلاح موقوف عليهـا. فقـال: ﴿**وَاتَّقُـوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الإمام ابن القيم/ بتصرف].

أخي في اللـه: حقًا ما أشق الصـبر على النفـوس! وكيف يهـون أخي على نفـوس ألفت الدعة والراحة وما تعودت البلاء؟!

أخي: إن الله تعـالى عـادل في حكمه رؤوف رحيم بخلقـه.. لا يخيب سـعيهم، ولا يضيع جزاء أعمالهم.. ولمشـقة الصـبر على النفوس أخي جعل الله ثوابه فوق كل ثواب ﴿**إِنَّمَا يُـوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَيْـرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر]. فأكرم بهم إذا جاؤوا يوم العرض الأكـبر فنـالوا الأجر الأوفر والجـزاء الأغزر.

ثم أخي أما رأيت إلى أولئك النفر الـذين جاءت البشارة لهم من النبي ﷺ بالأمن التـام والظل الظليل يـوم القيامـة، وهم السـبعة الـذين يظلهم الله تعـالى في ظله يـوم لا

ظل إلا ظله تعالى.

وما ذلك أخي إلا لفضــيلة الصــبر الــتي نعمـوا بها ،ولـذلك اسـتحق المـذكورون في الحـديث.. لكمـال صـبرهم ومشـقته، فـإن صـــبر الإمـــام المتســـلط على العـــدل في قســـمه وحكمه ورضـــاه وغضـــبه، وصـــبر الشـــاب على عبـــادة الله ومخالفة هـــواه، وصبر الرجل على ملازمة المسـجد، وصـبر المتصـدق على إخفـاء الصـدقة حـتى عن بعضـــه، وصـــبر المـــدعو إلى الفاحشة مع كمـــال جمـــال الـــداعي ومنصـــبه، وصـــبر المتحـــــابين في الله على ذلك في حـــــال اجتماعهما وافتراقهمـا، وصـبر البـاكي من خشية الله على كتمان ذلك وعـدم إظهـاره للنـــاس- من أشق الصـــبر». [الإمـــام ابن القيم/ باختصار].

أخي المسلم/ الصبر.. الصـبر.. هو الكـنز الـذي من ملكه فقد ملك ناصـية كل خـير.. والعين التي من وردها فهو المرتـوي حقًـا.. فهو السيف الذي لا ينبـو.. والجـواد الـذي لا يكبــو!.. فكـان حريًا بأهله أن يجنــوا أعظم الثمرات يوم القيامة.. ويذوقوا عاقبة بركته في الــدنيا.. فكم أخي للصــبر من فوائــد..

وكم له من محاسن ومنـــازل ســـاميات.. ويليق بالصبر أن نقول فيه ما قالته العــرب في أمثالها: «كل الصيد في جوف الفرى».

أخي في الله: من الثمـرات اليانعة الـتي يجنيها أهل الصبر.

أولاً: وهي الثمـــــــــرة العظمى، والحسـنة الكـبرى: الفـوز بمعية الله تعالى قال تعـالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَـعَ الصَّـــابِرِينَ**﴾ [البقــرة]. وقـــال تعـــالى: ﴿**وَاصْـــبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَـــعَ الصَّـــابِرِينَ**﴾ [الأنفـــال]. قـــال أبو علي الـــدقاق: «فـــاز الصـابرون بعز الـدارين لأنهم نـالوا من الله معيته».

ثانيًـا: الصـبر سـبب في مضـاعفة الأجـــــر.. ويكفي في ذلك بشـــــارة قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر].

قـــال ســـليمان بن القاســـم: «كل عمل يعـرف ثوابه إلا الصـبر قـال تعـالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ قال: كالماء المنهمر».

ثالثا: الصبر سـبب في نيل الإمامة

في الـدين. قـال تعـالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَـانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة].

قال الإمام ابن القيم: «فبالصــبر واليقين تُنال الإمامة في الدين».

خامسًا: الصــبر ســبب فـي تحصـيل الفلاح. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران].

سادسًا: الصــبر عـون وعـدة . قـال تعالى: ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّـبْرِ وَالصَّـلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة] فمن لا صبر له عون له.

سابعًا: جمع الله تعـالى للصـابرين ثلاثة أمـــور لم يجمعها لغــــيرهم وهي: الصـــــلاة منه عليهم ورحمته لهم وهدايته إياهم. قـال تعـالى: ﴿**وَبَشِّـرِ الصَّـابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَـابَتْهُمْ مُصِـيبَةٌ قَـالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُـونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَـةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 157].

عُـزِّى بعض السـلف على مصـيبة نالتـه، فقال: «مالي لا أصبر وقد وعدني الله على

الصبر ثلاث خصال كل خصلة منها خـير من الدنيا وما عليها».

ثامنًا: ضـمان النصر على الأعـداء.

قـال تعـالى: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْـبِرُوا وَتَتَّقُـوا وَيَـأْتُوكُمْ مِنْ فَـوْرِهِمْ هَـذَا يُمْـدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَـــةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَـــةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران].

تاســـعًا: ســـلام الملائكة على الصـابرين في الجنة بصـبرهم. قـال تعالى: ﴿**وَالْمَلَائِكَـةُ يَـدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُـلِّ بَـابٍ * سَـلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَـبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد].

أخي المسلم: تلك عيون وأصول لبركات وفوائد الصـــبر.. فهنيئًا أخي للصـــابرين إذ تحـــييهم الملائكـــة: ﴿**سَـــلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد].

فهنالك حمـــــدوا عاقبة الصـــــبر، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

أخي: كم للصـــــــــــابرين من محاسن منصوبة.. وكم لهم من رايات ما زالت على مر السنين بالمحامد معقودة.. وآثـار القـوم تدلك على الأطلال.

وما أظنك أخي تزهد في الوقـــوف على

تلك الصـــــور الصـــــادقة لأهل الصـــــبر والمصابرة!

وأبتــديك أخي بصــبر النــبي ، فهو ســيد الصـــابرين.. وإمـــام المـــرابطين.. تحمَّل أثقــال المشــقة وهو يبلغ أمانة ربه تعــالى.. فصبر وصابر ورابط حتى بلغ رسالات الله.. فأتاه النصر والظفر عاقبةً للصــبر.. وأنجــزه تعالى ما وعده ،وكم هو شــديد على النفس أخي أن تتأمل هذا الموقف من صبره .

يــوم أن خــرج إلى الطــائف حيث ثقيف لعـــــرض رســـــالة الله تعـــــالى على أهل الطائف.. فلقى ثلاثة من ســادة ثقيف وهم، عبد يا ليل ومســعود وحــبيب بنو عمــرو بن عمــير، فقــال له أحــدهم: هو يمــرط ثيــاب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبـــدًا، لئن كنت رســـولاً من الله كما تقـــول لأنت أعظم خطـــرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك ، فقام رسول الله من عنــدهم وقــال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فـــــاكتموا علي فلم يفعلـــــوا، وأغـــــروا به ســفهاءهم وعبيــدهم يســبونه ويصــيحون به

حتى اجتمع عليه الناس، وقعدوا له صــفَّين، فلما مــرَّ بهم رســول الله جعلــوا يرمونه بالحجــارة، فما يرفع رجليه ولا يضــعهما إلا رضـخوهما بالحجـارة، حـتى أدمـوا رجليـه، وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض ، فيأخــذون بعضــديه فيقيمونــه، فــإذا مشى رجموه وهم يضحكون، فخلص منهم ورجلاه تسيلان دمًا!!

أخي في اللـــه: أرأيت كيف كـــان بذله لنفسه فدىً لدين ربه تعالى؟!

فكم تحمَّل من المشـــقة وهو يـــؤدي رســالة رب العــالمين، حــتى يكــون أســوة لأمته في الصبر.. وصدق العزيمة..

وما كــان تعــالى ليعجــزه نصــرة نبيه ، ولكنها ســنة الله تعــالى الــتي قد خلت في عباده؛ إن العسر يعقبه اليسر والفــرج.. فلا يغيبن عنك أخي مثل هذا الــدرس! فإنك إن لم تعقلـــه، فما إخالك ستســـتفيد من تلك الصــور الصــادقة من حيــاة الســابقين من الأنبيــاء عليهم الصــلاة والســلام وأتبــاعهم على الهدى والحق.

ولتعلم أخي إن الصـــــبر على البلاء من شيمة الصالحين وأولياء الله المتقين.. وفي

هذا يطل علينا ذلك الجيل الفريد الذي رباه النــبي فكــانوا على الطريق مضـــاء.. وعزمًــا.. وصــدقًا.. وكــان صــبرهم على الـــدين الحق مضـــرب الأمثـــال.. ومحط الآمال.. فهذا النبي يمر على تلك الأســرة الطاهرة، التي جمعتها وشـيجة الإيمـان بعد وشيجة الـرحم مـرَّ عليهم وهم يعـذبون في الله تعالى، على أيـدي زبانية مكة من كفـار قريش، ولا يزيدهم ذلك إلا ثباتًا.. وتسليمًا.. فما كان يومها يملك لهم إلا تلك الكلمـات المسـلية عن نـار البلاء: «صـبرًا يا أبا ياسر وآل ياسر فإن موعدكم الجنة».

تالله كم في سير الصابرين من الشُّجون والآلام.. ولكن عنـــدما تلامســـها أصـــابع الجزاء.. تصـبح أحلى من العسـل. وأصـفى من الدموع!!

ويطل علينا أخي موقف آخر من مواقف الصابرين.. فهـذا بلال بن ربـاح يعذبه أهل الكفر بـــأنواع العـــذاب وهو لا يزيد على قوله: أحد.. أحـد.. ويسـلمونه إلى ولـدانهم فيطوفـون به شـعاب مكـة، ويوالـون عليه العذاب، وهو لا يزيد على: أحد.. أحد!!

ثم أخي فلتشـــهد معي هـــذا الموقـــف..

حيث جلس أمـــــير المؤمـــــنين عمر بن الخطـــاب وفي المجلس بلال وخبـــاب بن الأرت رضي الله عنهمــا، فيســأل عمر بلالاً عما لقى من المشــركين، قــال خبــاب: «يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري».

فقال عمر: «ما رأيت كاليوم!».

قال خباب: «أوقـدوا لي نـارًا فما أطفأها إلا وَدك ظهري».

وما أصدق علي يوم أن وقف على قبر خبـاب فقـال: «رحم الله خبابًا لقد أسـلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهـدًا، وابتُلى في جسمه أحــوالاً، ولن يضــيع الله أجر من أحسن عملاً».

ويطالعنا أخي من صــبر الســابقين صــبر عروة بن الزبير رضي الله عنهما فقد ابتلى رحمه الله في نفسه وولده فصــبر ورضــي، مــات ابنه محمد ، وأصـــابت رجله الأكلـــة، فقطعوها لــه، فما زاد أن قــال رحمه اللــه: «إن ســـلبتَ فلطالما أعطيتَ، وإن أخـــذت فلطالما أبقيتَ، وأبقيتَ لنا فيك الأمل ، يا بر يا وصول».

واعجب من الأحنف بن قيس: رحمه الله ذهبت عينه فقال: «ذهبت منذ أربعين ســنة

ما شكوتها إلى أحد!».

وكان يقول:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكُو الرَّحيمَ إلى الذي لا يرحم

ويطالعنا أخي في مواقف الصـــــابرين، ذلك الموقف الفريد لإمـــام أهل الســـنة الإمـــام أحمد بن حنبل رحمه اللـــه، وكـــان موقفه يومها غــرةً بيضــاء على جــبين أهل السنة يوم أن أراده أهل البدعة على القول بخلق القــــرآن، فنفى رحمه الله عن الحق الكــــدر، فصــــبَّ عليه المبتدعة أنواعًا من العذاب، وجلدوه بالســياط فما زاده ذلك إلا عزمًا لا يلين! حتى انكشـفت الغمة بنصــرة أهل الحق.

قــال أبو غــالب: (ضــرب أحمد بن حنبل بالسياط في الله ، فقام مقام الصديقين).

ولما أخرج رحمه الله من الحبس قال له بعضــهم: ادع على ظالمــك. فقــال: «ليس بصابر من دعا على الظالم».

تلكَ المكارِم لا قعبان من لبن شَيبا بماءِ فَعَادا بعدُ أبوالا

أخي المسـلم: اجعل عـزاءك دائمًا ثبـات الصــــالحين.. وخُلُق الصــــابرين.. يســـهل المصـاب.. ويهـون الخطب.. وليكن عـزاؤك دائمًا –أخي- تلك الوصـــية الـــتي عـــزَّى بها

رجــلٌ رجلاً مصــابًا بابنه فقــال لــه: «إنما يَسْتَوجبُ على الله وعده من صبر له بحقه، فلا تجمع إلى ما أصـــبتَ به من المصـــيبة الفجيعة بـــالأجر، فإنها أعظم المصـــيبتين عليك ، وأنكى الرَّزيَّتين لك! والسلام».

* * * *